المجزء الثاني

المعلم

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ — ٢٤ جماد اول سنة ١٣٢٤

الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغاني

ما بين مبادىء الشيخين من المشاركة . ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادىء العلم الحديث . امتياز محمد عبده على الافغاني بهذا الشان . تاريخ صلات الجامعة بمحمد عبده . قبل المناظرة و بعدها

تابع التمهيد

٢

جعلنا صدر الجامعة لهذا المقال للدلالة على اهمية هذا الموضوع . لان الكلام فيه ليس في ترجمة الاستاذ رحمه الله ولا في تاريخ حياة استاذه الافغاني ولكنه على الاخص في بسط مبادئها وعلاقتها بعضها ببعض من جهة وبمبادىء العلم الحديث من جهة اخرى . وبما ان تأثير الافغاني ومحمد عبده على الشرق واهله تأثير عظيم فالكلام في مبادئها كلام في النهضة الشرقية ونخص منها الاسلامية في كل بلاد يسكنها اخواننا المسلمون . وسيرى القراء في هذه المقالات المتسلسلة جانبي القوة والضعف في مبادئها وتعاليمها لكي لا يستسلموا اليها

بلا بحث ولا تمحيص . وانما نكتب هذه المقالات خاصةً للشرقيين الذين تهمهم الحركة الاسلامية في العالم الاسلامي ويتتبعون تلك الحركة بفكر نشيط . وقد نكون مخطئين في حكمنا في هذين العلاَّمتين فان النقد سهل كما هو مشهور . ولكن سواءٌ كنا مخطئين او مصيبين فهذا معتقدنا نبسطه للذين يقرأون الجامعة ولا غرض لنا كما يعلمون ذلك سوى البحث والتحقيق

وبما اننا ننظر في هذا التمهيد في علائق الجامعة بالاستاذ المفتي قبل المناظرة بينه وبينها وفي علائقها بعدها فاننا نوجز الكلام هنا في تتمة هذا التمهيد لنصل الى لباب الموضوع

في السنة الثالثة من الجامعة القينا سؤالاً على اهل الفهم والادب وهو « هل النهضة الادبية في الشرق نهضة حقيقية . وماذا يجب فعله لترقيتها » فاجاب كثيرون من ادباء مصر والشام على هذا السؤال اجوبة مختلفة نشرناها في تلك السنة . وقد شرَّف الاستاذ يومئذٍ الجامعة بجوابين على هذا الموضوع الاول في بضعة اسطر قصد به اظهار رضاه عن الجامعة وقد وقَّع عليه هكذا « الفقير الى الله وحده . محمد . . . » وقد قصد بذلك مداعبة ادبية خفيفة لانك اذا اضفت كلمة « عبده » الى كلمة « محمد » كان توقيعه سجعاً . والاستاذ رحمه الله كان ولعاً بمثل هذه المداعبات والنكات الادبية . واما الجواب الثاني فقد كان ضافي الذيول وقد نشرناه في عدة صفحات في السنة الثالثة تحت عنوان « رأي عالم مصري وعالم سوري » وكان العالم السوري جناب جبر افندي ضومط استاذ البيان في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والعالم المصري فضيلة الشيخ محمد عبده المفتي لذاك العهد . انما نتذكر اننا حذفنا من راي الاستاذ عدة اسطر في عدة مواضع لتضمنها قرصاً شديداً لبعض الجرائد المصرية ولعله كان يعني الجرائد التي كانت معادية له . وقد بلغنا ان هذا الحذف ساءه يومئذٍ . ومن هنا انقطعت اخبار الاستاذ عن الجامعة رأساً ولكن كان يبلغنا من عنايته بها وثنائه عليها ما قلدها منةً وفضلاً . من ذلك انه زارنا يوماً احد الاصدقاء وقال : كنت اليوم في « المحافظة » (١) وكان الاستاذ المفتي ضمن حلقة فيها يحادثهم عن الجرائد وتأثيرها واهميتها فسمعته يقول : قد يردني احياناً البريد وفيه عشرون جريدة ومجلة . فلما ارى في بريدي « مجلة الجامعة » فاول ما امدّ يدي اليها وافتحها . وحدَّثنا صديق قال « كنت اليوم عند فلان وسمى لنا باشا من اكابر المصريين كان يوماً اقرب المقرَّبين الى الجناب الخديوي واول موظفيه وكاتم اسراره الخاص فسمعته يقول عن الجامعة قولاً ثلج له صدري

(١) المحافظة دار حاكم الاسكندرية ويسمونه (المحافظ) كما هو مشهور

فسألته وهل تعرف صاحب الجامعة فقال لي ولكني ابني شهادتي هذه على شهادة الاستاذ المفتي فانه ما جلس في مجلس ودار فيه الكلام عن الصحافة الا واخذ يذكر الجامعة ويثني على استقامتها العلمية والادبية . فكأنه لها اعلان حيّ » — قلنا وهذا هو السبب الذي منعنا من مخاشنة الاستاذ رحمه الله في اثناء المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » وجعلنا نضرب صفحاً عن تحريض المحرّضين على فضيلته . فاننا لم نجد من الوفاء والادب ان نجزي الاحسان بالاساءة . واذا كان الاستاذ اساء الى الجامعة مرة فقد احسن اليها مرات

ثم كانت المناظرة في « ابن رشد وفلسفته »

واصلها ان الجامعة بدأت تستخرج فلسفة العرب وتترجم اكابر فلاسفتهم وعلمائهم لتجمع تراجمهم في كتاب يكون فريداً في اللغة العربية . لانه مما يُستحيى منه ان لا نعرف نحن ابناء اللغة العربية شيئاً من تاريخ ومبادىء اساطين هذه اللغة مع ان فلسفتهم ومبادئهم نُقلت الى جميع لغات العالم المتمدن . فافتتحنا عملنا بترجمة ابن رشد في الجزء الثامن السنة الثالثة . فوجد قراء الجامعة في مصر على الخصوص ان هذه الطريقة التي اخذت الجامعة تترجم بها فلاسفة العرب وتلخص فلسفتهم بحرّية مطلقة من كل قيد طريقة جديدة مستحبّة . فكان لذلك الفصل شيءٌ من الدويّ . ففي ذات يوم ونحن نعدّ ترجمة الامام الغزالي لننشرها كما نشرنا ترجمة ابن رشد واذ وردنا كتاب من مصر يقول مرسله فيه : ان الاستاذ المفتي كان في الاسكندرية وقد بعث اخاه يسأل كم زيارته فلم يجدكم في الادارة فعاد الى القاهرة دون ان يراكم وغرضه من رغبته في مشاهدتكم هو ان يسأل لكم هل تريدون ان تنشروا في الجامعة ردّاً له طويلاً على المقالة التي نشرتموها في « ابن رشد وفلسفته » وهو الان يسأل لكم بواسطتي هذا السؤال . فاذا شئتم نشر الردّ فاخبروني لانسخه وابعث به اليكم

فلما قرأت هذا الكتاب (عصبت رأسي) كما يقول العامة لانني ما كنت احب ان يردّ الاستاذ رحمه الله على الجامعة في مسالة اسلامية وان كنت لا اجهل الفائدة التي تعود على المجلة من تنازل فضيلته للردّ عليها . الا انني لم اتعلم قط الفرار من البراز ولو كان الداعي اليه الامام علي افرس الفرسان . فاجبتُ ايجاباً وكانت المناظرة التي يعرفها القراء وهي بين ايديهم (١) ولم يقع للاستاذ مناظرة رنانة اخرى في مصر سوى مناظرته مع المسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسوية السابق في مسالة شرقية تافهة في ذاتها . وفي هاتين

(١) راجع كتابنا (ابن رشد وفلسفته)

المناظرتين قال شاعر الاستاذ الصديق حافظ افندي ابرهيم غفر الله له :

وانتَ لها ان قام في الغرب مرجفٌ وانتَ لها ان قام في الشرق مرجفُ

حافظ حافظ . انك لم تحاسب نفسك لما نظمتَ عجز هذا البيت

وقد اهتمَّ العالم الاسلامي والشرقي في مصر وخارج مصر بهذه المناظرة والاخرى اهتماماً لم يرَ لمناظرة غيرها في الشرق . فبعث حاكم الجزائر يطلب الاشتراك في الجامعة وكتاب ابن رشد . وكذلك سلطان زنجبار وبعض المستشرقين في الاستانة وفرنسا . ولم يدخل كتاب ابن رشد الى العالم المستشرق في المدرسة الفرنسوية في الاستانة الا بطريقة مضحكة . فانه عين لنا عنواناً في مرسيليا ارسلنا الكتاب بموجبه ومن مرسيليا أُرسل الكتاب اليه في الاستانة ككتاب فرنسوي لان البوسطة الفرنسوية في مصر سامحها الله لا تقبل مطبوعات عربية للاستانة . ولست اذكر هنا تاريخ كتابتي هذا الكتاب ولا طريقة كتابته فراراً من الاطالة فاكتفي بان اقول ان جميع قواي وحواسي تجمعت في مدة ثلاثة اشهر ليلاً ونهاراً في موضوع واحد . فقلَّ نومي وانقطعت قابليتي للطعام . وما سطرت آخر سطر فيه حتى انطرحت في الفراش لحمَّى شديدة عرتني . فكان جميع قواي التي كنتُ استحثها على العمل قد نفدت و رزحت اول ما علمت انها فرغت من عملها ولم يبقَ عليها شيءٌ منه . وكان ظهور هذا الكتاب عبارة عن انفجار قنبلة في العالم العربي . قال لنا مراسل جريدة اسلامية كبرى في الاسكندرية انه لقي فضيلة قاضي الاسكندرية السابق فقال له انه في التشريفات الخديوية التي وقعت بعد ظهور هذا الكتاب باسبوع واحد لم يكن للناس من حديث سوى امر هذا الكتاب والمفتي . وان « الكتاب دي سيروّح مفتينا بداهيه » كذا قال . والصحيح ان خصوم فضيلة المفتي اغتنموا فرصة هذه المناظرة لتحريض الجناب الخديوي عليه حتى ان الجامعة نفسها وردها تحريض من بعضهم . فانه في اثناء المناظرة لما رأى خصومه اننا لا نواجهه الا بكل اكرام واحترام بعثوا الينا بالكتاب التالي وعليه طابع بوسطة الازهر وهذا نصه بحرفه

حضرة الفاضل الاديب

ان للجامعة لدينا منزلة رفيعة ومقاماً شريفاً ونتمنى لها الدوام والارتفاع واننا نأسف كل الاسف ان اقرانها في المناظرة الحالية يدسون لها السم في الدسم ويوسعونها حسداً وبغضاً في زي صداقة وتعظيم وهي تزيد عملهم هذا تأثيراً بتعظيمها لاقوالهم وتقديسها لآرائهم و يعلم الله انها اقوال لا يقولها الصبيان لا أعظم فلاسفة الزمان كما تقول الجامعة وقد اردنا

بهذه الكلمات استلفات نظرها الى امر ربما فات عليها وساق الضرّ اليها

وان انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى
(احد القراء)

فمن لهجة هذا الكتاب تقف على مبلغ النزاع والخصام الذي كان بين المفتي وخصومه حتى من اهل الازهر نفسه . وسترى عند تحليل مبادىء المفتي ومبادئهم انه لم يكن كل الحق في جانب المفتي وحده

اما كيف انتهت المناظرة ولماذا انقطعت بغتةً ولم يرد بشأنها كلمة في الجامعة بعد كتاب (ابن رشد) فسببه اننا لما رأينا انه كاد يتسع الخرق على الراقع وجدنا من اصالة الراي اما اقفال الباب قطعياً واما توسيع الخرق توسيعاً تاماً . فطبعنا كتاباً مفتوحاً الى فضيلة المفتي ثلاثة الاف نسخة في ١٦ صفحة بحجم الجامعة وتركنا نسخة من هذا الكتاب تصل الى فضيلة الاستاذ قبل توزيعه واشترطنا للعدول عن توزيعه ان يعدل بعض اخصائه عن الشتائم التي كان يوجهها الى الجامعة . فبعث فضيلته بالحال كبيراً يعتمد عليه في الاسكندرية لايقاف توزيع الكتاب . فشرّف سعادته ادارة الجامعة بزيارة منه لايقاف توزيعه على ان يُقفل هذا الباب . فرضينا شاكرين لفضيلة المفتي عقله واصالة رأيه . ولو نُشر هذا الكتاب المفتوح الذي لم يبقَ لديَّ الاّ نسخة واحدة منه لانني احرقته فربما كانت عاقبته سيئة جداً

وسيرد في الجزء التالي ما دار بين فضيلته والجامعة من الرسائل بعد هذه المناظرة . وفي بعضها ابحاث اجتماعية مفيدة وفي بعضها للجامعة منه رحمه الله وخزات شديدة